

تتمية البيئة وحمايتها من منظور إسلامي تربيوي

بقلم: أ.د. مصطفى محمد رجب (*)

لقد خلق الله الدنيا بما فيها من منافع و ثروة وخيرات، وسخرها جميعاً تسخير تمكين وانتفاع، واقتضت حكمته تعالى أن يخلق فيها من يستعمرها ويفيد من خيراتها ويحافظ على نعم الله فيها، فلا بد أن يتق الله فيما أنعم عليه، ويشكره بالحفاظ على نعمه الكثيرة، ويلتزم بمنهج الإسلام في حماية البيئة.

البحث الأول

الإنسان ومسئولية الخلافة في الأرض

أولاً: تكريم الإنسان واستخلافه

خلق الله الإنسان في الأرض ثم استعمره فيها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]. في حين يشارك الإنسان على هذه الأرض مخلوقات وكائنات أخرى من حيوانات ونباتات وغيرها، غير أن الله - سبحانه وتعالى - فضل الإنسان على سائر المخلوقات، وسخرها لخدمته، ومكنه من الانتفاع بها. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وحتى يتمكن الإنسان من الانتفاع من هذه المخلوقات فقد^(١) أوجدها الله على هيئة من التوازن، بحيث لا يطغى بعضها على بعض، ولا يدمر بعضها بعضاً، الأمر الذي قد يحول بين الإنسان والانتفاع بها، أو قد يحيل بعضها إلى مصادر ضرر عليه. قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

وقد فتح الله للإنسان أبواب العلم على مصارعها؛ لعمارة الأرض التي استخلفها للإنسان؛ ليكون معمرًا لها غير أنه اكتشف تفتت الذرة، فصنع منها القنابل، وخرّب بها الديار، وقضى على الإعمار، وخلق بعد ذلك مشات الألوف من المشوهين والمعجزة الذين يرون بطن الأرض خبير من ظهرها^(٢).

(*) أستاذ بكلية الشريعة - جامعة اليرموك.

(١) زيد محمد الروماني، "المنظور الإسلامي لمشكلة البيئة"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٥٩ ديسمبر ١٩٩٥م، ص ٤٢.

(٢) عاصم محمد بهجت البيطار، التلوث أولاً، التلوث ثانياً، التلوث ثالثاً، مجلة الفصيل، العدد ٢٢٠ يناير

١٩٩٦م، ص ١٠٠-١٠١.

ولكن معالم الرسالة الإسلامية في المحافظة على ما استخلف فيه الإنسان^(١) تنبعث من القرآن الكريم حيث قال الله - تعالى - : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. وقد نبه الله في الآية والآيات السابقة على إعمار الأرض وعدم الإفساد فيها، فقال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [مورد: ٦١]، وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [مورد: ٨٥].

لذا فإن الإنسان مقيد بمراعاة الاعتدال وتجنب الإسراف والبطر والتجبر، وكل ما من شأنه الإخلال بالتوازن البيئي. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

إن كل مكونات البيئة في هذا الكون الفسيح قد أعدها المولى سبحانه وتعالى لاستقبال الحياة، ولكفالة الأحياء، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

ثانياً: الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه في الأرض

إن الحكمة من خلق الإنسان واستخلافه على الأرض، وتسخير الكون، أدركها المسلمون وفسرها العلماء؛ لهذا تعامل المسلم مع بيئته بصورة متطورة، وحرص على استغلال المحيط الذي سخره الله بالعلم والوعى، فكان التغيير الذي عرفه المجتمع الإسلامي، ثم بوتيرة سريعة أفادت وأذهلت العالم. أمة انطلقت من صحراء قاحلة جرداء استطاعت في ظرف وجيز أن تسيطر على بيئتها وتتحكم فيها بطرق ووسائل مبتكرة، واستغلت الموارد الطبيعية والبشرية لخدمة التنمية الشاملة.^(١)

ومما ورد في كتاب "في ظلال القرآن الكريم"، للشيخ سيد قطب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

(١) راغب محمد السعيد، "الإنسان والكون في انقرآن الكريم"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٣٩ إبريل ١٩٩٤م، ص ٤٧.

(٢) الزبير مهرداد، "العمل في الفكر الإسلامي"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص ٧٣-٧٤.

.. وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاء له خالقه الكريم...".

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]

يوحي قول الملائكة هذا بأنه كان لديهم من شواهد الحال، أو من تجارب سابقة في الأرض، أو من إلهام بصيرة ما يكشف لهم عن شيء من فطرة هذا المخلوق، أو من مقتضيات حالة على الأرض، وما يجعلهم يتوقعون ويعرفون أنه سيفسد في الأرض ويسفك الدماء.. "لقد حفيت عليهم المشيئة العليا في بناء الأرض وعمارتها وفي تنمية الحياة وتنويعها، وفي تحقيق إرادة الخالق وناموس الوجود في تطويرها وترقيتها وتعديلها على يد خليفة الله في أرضه"^(١).

ثالثاً: الإسلام والاهتمام بالإنسان جسمياً وعقلياً وروحياً

التعليم الإسلامي لم يكن أبداً جانباً في الاقتصاد فقط، بل كان الوسيلة لإنشاء الفرد المسلم المستوعب للقيم الدينية، المتشبع بها، فاعتبر المسلمون التكوين المهني جزء من عمل المؤسسة التعليمية الإسلامية، التي من أهدافها تربية الناشئة تربية شاملة تحقق الكمال الإنساني الديني والعقلي والبدني.

يقرر ابن سينا (ت: ٤٢٩ هـ) أن توجيه الطفل نحو التكوين المهني يجب أن يتم بعد انتهاء الطفل من تعلم القرآن الكريم، ومعرفة الدين الإسلامي، وحفظ أصول اللغة العربية، بعد ذلك ينظر إلى ما يراد أن تكون صناعته فيوجهه لطريقه^(٢).

ويشترط ابن سينا لمؤدب الطفل إذا أراد توجيهه إلى صناعة ما أن يزن طبعه ويختبر ذكائه، وعلى ضوء نتائج هذه الفحوص والاختبارات يختار له الصناعة الملائمة.

(١) سيد قطب، "في ظلال القرآن الكريم"، المجلد الأول، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٠م، ص ٥٦-٥٧.

(٢) الزبير مهاد، "الإسلام والتربية العقلية"، مجلة الوصي الإسلامي، العدد ٣٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص ٧٤.

... إلى جانب التكوين المهني الخاص السليم والشامل، يجب توجيه الاهتمام إلى صحة الإنسان النفسية؛ لضمان سلامة نموه العقلي والنفسى، وتحقيق تكيف ذاتي واجتماعي متوازن؛ لأن السبيل نحو سلامة المجتمع يمر حتماً عبر سلامة الأفراد. لكي تصبح التربية العقلية قدرات ومهارات فعلية لا بد لها من حافز يخرجها من حيز العلم والمعرفة إلى تجربة عملية يتنفع بها الفرد والمجتمع^(١).

كما أكسب الإسلام التربية العقلية هذا الحافز عندما فرق بين الذين يعملون والذين لا يعملون، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]. وقال ﷺ: «من سلك طريقاً يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة...» (رواه مسلم عن أبي هريرة).

رابعاً: الشريعة والبيئة والإنسان

إن الشريعة الإسلامية - ومن خلال القرآن الكريم والسنة النبوية - وضعت تصوراً شاملاً للبيئة شمل الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، والماء، والهواء، وجعل الإنسان مكرماً على سائر المخلوقات، وسخرت له انطلاقاً من قاعدة الاستخلاف.

لقد أسست الشريعة الإسلامية مبدأ سد الذرائع إلى الفساد أيًا كان نوعه؛ تفسيراً للتعامل مع البيئة بما يدرأ عنها المفسدة إبان التصرف السيء في المباحات أو الحقوق، فضلاً عن المجاوزة والعدوان. إن الالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول الكريم ﷺ، وأوحى بها إلى المسلمين إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق أن إفساد البيئة وتلويثها المضنى لها إنما يبدأ من تلويثها السير أو عدم الالتزام بالنظافة وإماطة الأذى عن البيئة^(٢).

(١) محمد السيد الملبجي، 'الإسلام والتربية العقلية'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٦٥، يونيو ١٩٩٦م، ص ٢٦.

(٢) زيد محمد الرماني، 'المنظور الإسلامي لشكلة البيئة'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٥٠، ديسمبر ١٩٩٥م، ص ٤٣.

وقد قال الرسول ﷺ: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، فنظفوا أنفسكم ولا تشبهوا باليهود» (رواه الترمذي). وقد عنى الإسلام عناية خاصة بنظافة البيئة باعتبارها المحل الذى يقيم فيه الإنسان، ويحصل فيه على احتياجاته، ويمارس فيه عبادته لربه، وأعماله التى تعينه على مواجهة متطلبات الحياة، كما ترتبط نظافة البيئة فى الإسلام ارتباطاً مباشراً بالطهارة، والطهارة فى اللغة هى: النزاهة من الأقدار، وفى الشرع تعنى: "رفع ما يمنع الصلاة من حدث أو نجاسة"^(١).

(١) محمد السيد أرتاؤط، "التلوث البيئي وأثره على صحة الإنسان"، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية، ١٩٩٧م، ص ٢٢٨-٢٣٧.

المبحث الثاني

الإسلام ودعوته إلى الحفاظ على البيئة ومواردها

إن موارد البيئة هي من أجل نعم الله على البشر، وأن الله قد أعطانا جميعاً حق الانتفاع بها، فلا يحق لطائفة الاستئثار بها دون غيرها، والإنسان وصى على البيئة؛ لأنه خليفة الله في الأرض، ووصى على البيئة وليس مالكاً لها، فعليه من هذا المنطلق أن يأخذ منها بقدر مع أداء حق هذه النعمة وشكرها بالمحافظة عليها، وبإعطاء حق الله فيها للمحتاجين.

أولاً: دعوة الإسلام إلى المحافظة على نعم الله

إن شكر النعمة عامل من عوامل استدامتها. قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧]. وكفران النعمة مدعاة لزوالها. قال تعالى: ﴿ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النمل: ١٢].

إن المحافظة على مكونات البيئة جزء من عقيدة المؤمن. قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق» (رواه البخاري ومسلم).

ويجب علينا أن نتعامل مع البيئة من منطلق القواعد الفقهية الأصولية العامة، مثل درء المفاسد مقدم على جلب المصالح (ولا ضرر ولا ضرار)^(١).

ثانياً: حرص الإسلام على حماية البيئة

لقد حذر الإسلام من كل تغيير كمي وكيفي في مكونات البيئة الحية وغير الحية؛ لأن ذلك سوف يؤدي إلى عدم مقدرة الأنظمة البيئية على استيعابها دون أن يختل توازنها، وبالتالي حدوث التلوث البيئي، ولقد خلق الله - سبحانه وتعالى - الكون وفيه

(١) عبدالحكم عبد اللطيف الصعدي، "البيئة في الفكر الإنساني والواقع الإيماني"، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦، ص ١٤٩.

توازن بيئي متكامل بين الكائنات الحية وغير الحية^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

كما أن السنة المطهرة تذخر بما يؤكد هذا التصور الإسلامي بين الإنسان وما تحويه بيئته من موجودات حية وغير حية، فقد كان رسول الله ﷺ يقول عن جبل أحد وهو يدلله تدليل الصديق: «هذا جبل يحبنا ونحبه». ومن البين أن افتقاد البشرية لهذا البعد الإيماني، والشعور النفسى القائم على المعرفة الصحيحة لطبيعة العلاقة بين الإنسان والبيئة^(٢)؛ لذا يجب علينا اتباع المنهج الإسلامى فى تحقيق الأمن البيئى.

ثالثاً: مراقبة الله والحفاظ على جمال البيئة

لما كان الجمال مقصوداً قصداً فى خلق الكون، وكان البعد الجمالى ضرورياً فى علاقة الإنسان بالبيئة، فإن ما يحدث فى عصرنا فى علاقة الإنسان بالبيئة، وما يحدث فى عصرنا من أشكال التلوث البيئى المختلفة يجب النظر إليه على أنه اعتداء أليم على توازن البيئة المحكم، وتشويه متعمد لشكلها الجمالى الذى جعلها الله عليه، ومن ثم يكون العمل على حماية البيئة من مختلف أشكال التلوث والفساد والإبقاء على الجمال فى صفحات الكون مطلباً إسلامياً تستحث لأجله الهمم، وتُستثار العزائم^(٣).

رابعاً: حرص الرسول ﷺ على النظافة وحماية موارد البيئة

يأمر الرسول ﷺ -حفاظاً على البيئة وعلى الإنسان- أتباعه بالنظافة البدنية، ونظافة المسكن، ونظافة الشوارع والساحات العامة المحيطة بالبيوت؛ لأن نظافة المسكن من نظافة ساكنيه، ونظافة المدينة من نظافة أحيائها، فالقمامة المتراكمة تجذب الحشرات الناقلة للمرض، فالذباب المنزلى، وذبابة اللحم تنقل أمراضاً متعددة^(٤).

(١) حمدى عبد العزيز السعداوى، "التلوث البيئى والإعجاز العلمى فى القرآن الكريم"، مجلة الوهى الإسلامى، العدد ٣٨٠، أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٧م، ص ٥٢.

(٢) أحمد فؤاد باشا، "البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامى"، مجلة الأزهر، الجزء السابع نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٦، ص ١٠١٩.

(٣) أحمد فؤاد باشا، المرجع السابق، ص ١٠٢٠.

(٤) أحمد فؤاد باشا، المرجع السابق، ص ١٠٢٠.

ولم يفث المصطفى ﷺ أن يوصى الإنسان بأمن بدنه ونظافته لحمايته من الأوبئة والأمراض. عن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات وفي يده ريح ضمير فأصابه فلا يلومن إلا نفسه» (١).

وكان ﷺ أحسن الناس مظهراً وأجملهم ثياباً، وكان يحث أصحابه على نظافة ملابسهم، فقد رأى ﷺ رجلاً عليه ثياب متسخة فقال: «أما كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه» (رواه أبو داود). فالرسول بقوله هذا يدعو المسلمين إلى عدم تقليد هذا الرجل بترك ملابسهم متسخة، وقد جعل الإسلام طهارة الثياب شرطاً لصحة الصلاة (٢).

ونظافة المكان دليل على الإيمان، فقد حث الرسول ﷺ على نظافة البيوت فقال: «إن الله طيب يحب الطيب جواد يحب الجواد، كريم يحب الكريم، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود» (رواه أبو الترمذى).

خامساً: الاقتداء بالسنة النبوية يحفظ الإنسان من خطر التلوث

ولم يفث المصطفى ﷺ أن يوصى الإنسان بأمن بدنه ونظافته لحمايته من الأوبئة والأمراض. عن أبي هريرة -رضى الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «من بات وفي يده ريح غمر فأصابه فلا يلومن إلا نفسه». وريح الغمر أثر الأطعمة والدهون العالقة بيد الإنسان، وهنا يأمرنا الرسول ﷺ بالنظافة لحماية بيتنا الذاتية الشخصية الخاصة بكل فرد منا، فهناك العديد من الحشرات التى تمرح ليلاً باحثة عن طعامها، وتجذبها رائحة الدهون والفضلات، ولعل من أهم هذه الحشرات الصراصير والجراد والبراغيث، فالصراصير التى ترد على القاذورات وتلوث أطعمتنا وبعض أجزاء من جسمنا هى خير ناقل ميكانيكى لكثير من الطفيليات البدائية والترشيحات (الحمى الراشحة) (٣).

(١) هواد جاسم الجدى، «الأمن البيئى من منظور إسلامى»، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٥٠ شوال ١٤١٥، ص ٧١.

(٢) محمد السيد أرناؤوط، «التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان»، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية،

١٩٩٧م، ص ٢٢٨-٢٣٧.

(٣) المرجع السابق.

لا يزال التاريخ يحتفظ بسجلاته عن كوارث الطاعون، ذلك الوباء الخطير، ولا تزال في الذاكرة حوادث انتشار الطاعون في الهند في الأعوام السابقة، حيث عزلت عن العالم، وأوقفت كافة الخطوط الجوية العالمية رحلاتها إلى هناك، وقد قال الرسول ﷺ عن الطاعون: «الطاعون بقية رجز أو عذاب أرسل على طائفة من بني إسرائيل، فإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها» (رواه البيهقي والترمذي). في هذا الحديث الشريف إشارة واضحة ودليل قاطع على الاحترام والمحافظة على البيئات النظيفة الخالية من الأمراض والتلوث، وحصر البلاء والوباء في بيئة المنشأ؛ لكي لا ينتقل إلى البيئات الأخرى.

سادساً: الإسلام والبيئة والتربية الجمالية

لا شك أن الإسلام يدعو إلى الجمال في كل شيء؛ ولذا قال المولى -تبارك وتعالى-: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. ففي هذه الآية حث على التزين والجمال عند الذهاب إلى المسجد، وحث على النظافة لأنها دليل الإيمان. التربية الجمالية تعبير يقصد به الجانب التربوي الذي يوافق وجدان الفرد^(١) وشعوره، ويجعله مرهف الحس مدركاً للجمال، فيبعث ذلك في نفسه السرور والارتياح، ويرتقى وجدانه، وتهذب انفعالاته، وكل هذا يساعد على قوة الإرادة وصحة العزيمة، ومن هنا نقصد بذلك دعوة القرآن الكريم للنظر والتدبر في آيات الكون ومفردات الطبيعة، والانفعال بها؛ لأن ذلك يربى عند الإنسان شعوراً جمالياً يتمثل في الانسجام الدافئ بينه وبين الطبيعة يقوده من خلال جمالها إلى معرفة جلال الله -تعالى- إلى إدراك وحدانيته سبحانه وتعالى بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفراً ثُمَّ يجعله حطاً ما إن في ذلك لَذِكْرٍ لَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

(١) محمد السيد المليجي، 'الإسلام والتربية الجمالية'، مجلة الوحي الإسلامي، العدد ٣٧٤، فبراير ١٩٩٧، ص ٧٦-٧٧.

والترية الجمالية تدعو أيضاً إلى المحافظة على الأشجار وتحث على زرعها؛ لأن ذلك يؤدي إلى تحسين البيئة وجمالها لأن "... الأشجار والنباتات ليست فقط مصدر للغذاء، وإنما تشكل مخزون للطاقة التي تنطلق عند تحلل المواد العضوية المعقدة أو عند احتراق أعشابها أو عند التغذية على ثمارها، كما أن الأشجار والنباتات منظومة أخذ وعطاء مع الهواء والأرض، فهي تمتص أكاسيد الكربون وتطلق غاز الأكسجين في الهواء، وتثبت التربة وتحميها من التصحر منها العناصر المعدنية وتنقل إليها المواد الأزوتية العضوية"^(١)؛ لذا يجب المحافظة على الأشجار والدعوة إلى التشجير.



(١) جهاز شئون البيئة، "البيئة علم وسلوك"، القاهرة، دار إلياس العصرية، ١٩٩٤م، ص ١٢.

المبحث الثالث التلوث البيئي ودور الإسلام في الوقاية منه

أصبحت قضايا ومشكلات البيئة محل اهتمام مكثف على مختلف المستويات، فهي موضوع الساعة في الوقت الحالي، بعد أن تبين للعالم أنها ذات تأثير عظيم الخطر على بني الإسلام أينما وجدوا، ليس فقط في الحاضر، وإنما أيضاً في المستقبل، والإسلام بدعوته يقوم على وجوب المحافظة على البيئة وجمالها التي خلقها الله - سبحانه وتعالى -؛ لكي ينعم الإنسان بجمالها ويستفيد من خيراتها، ولكي يشكر الإنسان ربه عظيم الشكر على ما أنعم عليه. ويجدر بنا أن نخص هذا العنصر بمزيد من الاهتمام والتوضيح والتفصيل وذلك من خلال العناصر الآتية:

أولاً: النظافة أولى خطوات حفظ البيئة

الالتزام بنظافة البيئة من الأمور الأساسية التي حرص عليها الرسول ﷺ، وأوصى بها إلى المسلمين، إذ نص أكثر من حديث على أن النظافة من الإيمان، والحق أن إفساد البيئة إنما يبدأ من تلوثها اليسير أو عدم التزام النظافة، فعن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد، وقارعة الطريق، والظل»، هذا الحديث الشريف قاعدة عظيمة وقانون من قوانين الأمن البيئي؛ حيث تسعى الأمم المختلفة اليوم جاهدة لسن المزيد من هذه القوانين، في حين أشار الرسول ﷺ إلى ذلك منذ زمن بعيد، كما أشار إلى الموارد المائية والنباتية حيث يعتبر المورد المائي اليوم من الموارد الهامة التي تعرضت للتلوث.

ثانياً: التلوث البيئي والإعجاز العلمي للقرآن الكريم

لقد نهانا القرآن الكريم عن الإخلال بالنظام البيئي^(١) وإحداث خلل في التكامل البيئي الذي خلقه الله الكون عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١١-١٢].

لعل الإعجاز العلمي للقرآن الكريم في هذا المقام يتمثل في التنبؤ بظاهرة التلوث البيئي ثم بيان أسبابه حينما ينبهنا المولى - عز وجل - إلى أن التلوث يكون نتيجة لإخلال الإنسان للنظم البيئية المتكاملة التي خلق الله الكون عليها، وفي النهاية حذرنا الله سبحانه وتعالى من العبث بقانون التكامل البيئي، ولقد أدرك الإنسان هذه المعاني الكريمة في الآونة الأخيرة، وقامت الحملات، وعقدت المؤتمرات الدولية التي من شأنها التحذير من تدخلات الإنسان.

لقد أدرك الإنسان معاني القرآن الكريم، وأنه صالح لكل زمان ومكان، وأنه خالد لتوجيه وإرشاد الناس إلى كل خير وإلى ما فيه صلاح حالهم؛ ولذلك قامت الحملات وعقدت المؤتمرات الدولية التي من شأنها التحذير من تدخلات الإنسان للإخلال بالنظم البيئية، ومن الآيات التي حذرت الناس من إهدار البيشة بتلويشها وإتلاف مواردها الطبيعية. قال الله - تعالى -: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْن بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

ثالثاً: ملوثات البيئة وآثارها الحضارية

من الجدير بالذكر أن تأثير الإنسان على توازن البيشة بدأ منذ ظهوره على الأرض، ولقد مر ذلك بمراحل مختلفة، فالإنسان البدائي من القناص والصياد، وحتى الراعي والزارع، كان تأثيره على البيشة بسيطاً، شأنه في ذلك شأن الكائنات الحية التي كانت

(١) حمدي عبد العزيز السعداوي، 'التلوث البيئي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٨٠، أغسطس/ سبتمبر ١٩٩٧م، ص ٥٢ بتصرف.

تعتبر منافسة له، وكان سلوك الإنسان وتأثيره جزئياً بنظام البيئة. ولكن إشعال الحرائق في الغابات لا يزال يستخدم كوسيلة للصيد تعتمد إلى ذلك مجتمعات بدائية لإكراه الحيوانات على الفرار مما يسهل صيدها.

وأضيف إلى الحرق قطع الأشجار وأكل الجذور وقطع الثمار؛ لتجعل كل هذه الأشياء حياة الإنسان ممكنة في هذه العصور القديمة.

وفي بداية عصر الاكتشافات الجغرافية الكبرى كانت هناك مناطق شاسعة غير مستعملة عملياً، غير أن هذه الحالة لم تستمر وفي أقل من مائتي عام عمّدت الدول الاستعمارية الأوروبية، - وكانت تملك وسائل قوية للتدمير - إلى استخدام سياسة حرق الأرض ودون أن تنتبه إلى الآثار البيئية التي يمكن أن تحدث نتيجة لاستخدام تلك السياسة^(١).

ومن الآثار السلبية للتلوث فقد "كثرت التلوث الذي تعرضت له مياه سانت لورانس والبحيرات العظمى في أمريكا الشمالية"^(٢)؛ وذلك بسبب النفايات الصناعية التي طالما ألقيت وما زالت تلقى في تلك المياه، فقد دلت الإحصاءات الكندية مؤخراً أن هذا التلوث قد بطش بحيتان تلك المياه إن لم يدمر حياتها تدميراً.. "كما وصل التلوث في بعض البحيرات (بحيرة ايربا)^(٣) التي تساوى مساحتها مساحة إقليم بريتاني الفرنسي إلى درجة جعلت السلطات المسؤولة تمنع الاستحمام فيها وتعلن محذرة أن الواجب يقضى تلقح كل من يسقط فيها بمصل التيتانوس".

رابعاً: التلوث بالمبيدات الحشرية وخطره على صحة الإنسان

تستخدم المبيدات الزراعية لحماية الإنتاج الزراعي في مختلف الآفات بهدف زيادة الإنتاج، وتتواجد متبقيات المبيدات في معظم أنواع الخضار والفاكهة ودهون اللحوم والطيور والأسماك والألبان، والأحشاء الداخلية، وبعض الغدد الغنية بالدهن.

(١) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٩، رمضان ١٤١٥ هـ ص ٦٦.

(٢) "سلامة البشرية في سلامة البيئة"، مجلة العربي، العدد ٣٥٧، أغسطس ١٩٨٨ م، ص ١٢٩.

(٣) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعي الإسلامي، مرجع سابق ص ٦٤.

ترجع خطورة هذه المبيدات إلى أنها تؤثر على الجهاز العصبي بصفة خاصة وتحدث خللا في وظائف أعضاء الجسم المختلفة مثل: الكبد، والكلية، والقلب، وأعضاء التناسل، بل يسرى التأثير إلى أهم مكونات الخلية، حيث تحدث تأثيرات وراثية أو سرطانية أو تشوه خلقى في المواليد، وخطورة هذه المبيدات ليس فقط في إحداث التسمم الحاد الذي قد يؤدي إلى الوفاة، وإنما إلى حدوث سمية مزمنة من خلال تناول الأفراد جرعات ضئيلة ولفترات طويلة من حياتهم.

ومن أسباب التلوث بالمبيدات الإسراف والاستخدام السيئ لها خلال إنتاج وتجهيز وتناول الغذاء، ويزيد من خطورة المبيدات الكيماوية عدم الإلمام بكيفية التخلص أو التليل من بقاياها بالأغذية المختلفة^(١).

ولا بد من وضع برنامج للحد من هذه المشكلة وذلك عن طريق:

- ١- تحديد المشكلة ووضع ضوابط لها لمنع الأخطار البيئية والتأكيد على النواحي المرتبطة بالصحة.
- ٢- تنمية المهارات في متابعة القضايا البيئية والتنبؤ بما قد يحدث من مشكلات.
- ٣- تنمية الوعي وتكوين الاتجاهات الخاصة بالعناية بالبيئة وحمايتها.
- ٤- تشجيع إجراء البحوث المتعلقة باختلاف النواحي البيئية.

خامساً: التلوث وتأثيره على طبقة الأوزون

لم يقتصر عبث الإنسان بالتوازن البيئي إلى حد التأثير على الظروف المناخية للأرض، بل إن الأمر وصل إلى حد التأثير على طبقة الأوزون، فالأوزون هو شكل من أشكال الأكسجين موجود في الطبقات العليا من الجو، يحول دون وصول كميات كبيرة من الإشعاع الذي تبثه الشمس على الموجات فوق البنفسجية، فإذا فسد أو قضى عليه

(١) جهاز شئون البيئة، 'الأسرة والغذاء والتلوث'، القاهرة، مطابع الأهرام بكونرنيش النيل، ١٩٩٤م، ص ٧-٩.

فإن الأرض تصبح عندئذ معرضة لمزيد من الأشعة الضارة، مما يؤثر على حياة كل الكائنات الحية^(١).

هناك مؤشرات عديدة تؤكد أن حزام الأوزون يتعرض للدمار والتحليل نتيجة لتدخل الإنسان والإخلال بنظام التكامل البيئي، فالنفايات التي تخرج من مداخن المصانع والمواد الكيماوية المستخلصة من الفلور كربونات مثل الأيروسول وغاز الفريون وغيرها من الملوثات.

من الآثار الضارة الناتجة عن الغازات السامة مثل غاز أول أكسيد الكربون، فقد يتعرض الفرد العادي للإصابة بتسمم غاز أول أكسيد الكربون، نتيجة لتسرب الغاز من الأنابيب الناتج من إحراق الفحم المستخدم في التدفئة، أو من مواقد الغاز، وكذلك في الحمامات، وذلك لعدم وجود تهوية جيدة كافية، وأكثر ما تحدث الإصابة إذا أدت محرك السيارة وبخاصة إذا كان حظيرة السيارة مغلقة^(٢).

كما يحتل التحطيط مكاناً بارزاً من بين مشاكل البيئة جميعها، فتقطع الأشجار لاستعمال خشبها وقوداً للطبخ والتدفئة هو الذي يقضى على غابات العالم فيؤدي إلى تلف الأوزون وهو الذي يتسبب في تعرية التربة بحيث تفقد القدرة على الاحتفاظ بمياه الأمطار^(٣).

سادساً: أثر تلوث المياه على البشرية

يعتبر الماء من أساسيات الحياة على الأرض وكل مخلوق عليها، وقد أصبحت البحيرات والأنهار مستودعاً كبيراً لنفايات بعض أكثر المواد ضرراً على الإطلاق،

(١) حمدي عبد العزيز السعداوي، "التلوث البيئي والإعجاز العلمي في القرآن الكريم"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٨٠، أغسطس / سبتمبر ١٩٩٧م، ص ٥٣.

(٢) أحمد عبد المنعم عربود، "التسمم بأول أكسيد الكربون"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٦٧، أغسطس ١٩٩٦م، ص ٤٢.

(٣) "سلامة البشرية في سلامة البيئة"، مجلة العربي، العدد ٣٦١، ديسمبر ١٩٨٨م، ص ٣٠.

والنفايات الأشد سمية التي يمكن التخلص منها في المجارى المائية تشمل النسبة الكبرى من الـ ٧٠ ألف مادة كيميائية تركيبة تكرر في بيئتنا، فتسبب مجارى المياه الطبيعية ويدمر النظم البيئية التي تعتمد عليها حياتنا نحن بنى البشر.

يلاحظ أن مياه البحيرات تتلوث وتتحول إلى بحيرات سامة بسبب الأسمدة التي تزيد من تكاثر الطحالب.

وما يذكر في هذا الصدد أن نسبة الأكسجين انخفضت في بعض البلدان، ويلاحظ أن البحر المتوسط يتعرض لخطر التلوث والتسمم خلال الخمسين سنة القادمة؛ لأنه أقل اتساعاً من المحيط الأطلنطي والمحيط الهادى^(١).

ومن مصادر تلوث المياه أيضاً "الزراعة: ثمة مصادر ثلاثة للتلوث الزراعى، وتمثل في المبيدات والأسمدة الكيماوية والأسمدة الحيوانية، فبقايا المبيدات التي تترشح إلى المياه الجوفية تقوم بتسميم مصادر المياه الصالحة للشرب، وتصبح مركزة في السلسلة الغذائية، وتساهم الأسمدة الفسفورية والنيتروجينية في عملية التفاعل في المجارى المائية، حيث يؤدي تزايد الإنتاج النباتى إلى استنفاد موارد الأكسجين^(٢).

ومن مصادر تلوث المياه.. المجارى. إن مياه الصرف الصحى التي تعتبر أشهر أنواع الملوثات المائية تتألف من النفايات الحضرية والصناعية.

سابعاً: التلوث السمعى وآثاره الضارة

التلوث كما عرفه العالم هو: أى تغيير فيزيائى أو كيميائى أو بيولوجى مميز، ويؤدى إلى تأثير ضار على الهواء أو الإضرار بالعملية الإنتاجية كنتيجة للتأثير على حالة الموارد المتجددة، إذن من خلال التعريف نجد أن من أنواع الملوثات هو الضوضاء التي تؤثر على الإنسان وهو التلوث السمعى^(٣).

(١) عصام الشيخ قاسم، "أزمة تلوث المياه فى العالم"، مجلة الكويت، العدد ١٤٣، سبتمبر ١٩٩٥م، ص ٨٢.

(٢) إبراهيم سليمان عيسى، "تلوث البيئة أهم قضايا العصر"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٣٤٩، فبراير ١٩٩٥م، ص ٦٤.

(٣) منى قاسم، "التلوث البيئى والتنمية الاقتصادية"، الطبعة الثانية، القاهرة، الدار اللبنانية المصرية ١٩٩٧م، ص ٤٨.

والضوضاء لها نتائج خطيرة وهي: الإرهاق السمعي، والصمم المهني، والصدمات السمعية، وإن الإرهاق السمعي يتسم بزيادة مؤقتة في قوة السمع، وهو يبدأ من ٩٠ ديسيبل، وأن الإحساس لضوضاء معينة يقل بتأثير ضوضاء أوضح وأقوى.

وهناك نتائج أخرى قد تكون أكثر خطورة مثل الخلل في العصب السمعي الناتج عن الضوضاء (اضطرابات سمعية) الذي يتميز بفقدان القدرة على السمع، وقد ترجع أسباب الضوضاء إلى الانفجارات.

وهناك نتائج نفسية للضوضاء^(١)، وتظهر بصفة أساسية في الأحلام والآلام في الرأس، وفقدان الشهية، والشعور بالضيق والتعاسة، وبالنسبة للعمل والمهام الذهنية والعقلية والفكرة نجد أن للضوضاء آثاراً ضخمة، ولقد لاحظنا فروقاً محسوسة في الإنتاج بين العمل الذي يؤدي في جو هادئ والعمل الذي يؤدي في جو كله ضوضاء، ومن الثابت أن الضوضاء تسبب ٥٠٪ من الأخطاء في العمل.

ثامناً: الرسول هو القدوة الحسنة في عدم الضوضاء ومراعاة شعور الآخرين

أمرنا الرسول ﷺ أن نقدم كل ما هو خير للمسلمين؛ لأنهم أخوة في الله، وقد نهانا عن إيذاء الناس في أحاديث كثيرة منها ما ورد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ها هنا...»^(٢).

اتصف ﷺ بحسن معاملته لكل من خالطه ليستوى في ذلك الخادم والسيد، والفقير والغني، والمرأة والرجل، فيروى أنه ﷺ ما نهر خادماً وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يكون جهاداً في سبيل الله، قال أنس -رضي الله عنه-: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط ولا قال لشيء صنعته لما صنعت، ولا لشيء تركته لما تركته»^(٣).

(١) روبرت لافون، 'التلوث'، ترجمة: نادية القباني، جنيف (سويسرا)، ١٩٧٧م، ص ٩٥.

(٢) الإمام النووي، 'رياض الصالحين'، القاهرة، دار النيل، ص ٩٥.

(٣) عبد العظيم سيد الطنطاوي، 'خصائص الأخلاق في الإسلام وغاياتها'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٥٠،

مارس ١٩٩٥م، ص ٦٦.

كما أن القرآن الكريم نهى عن الجلبة والضوضاء في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾ [لقمان: ٨]. وقال أيضًا في سورة الحجرات نهياً عن رفع الصوت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ [الحجرات: ٢].

تاسعاً: حل مشكلة التلوث البيئي للمحافظة على البيئة ومواردها

خلال العقود الأخيرة تعالت صيحات التحذير من أخطار التلوث البيئي التي تصيب الحرث والنسل، في عام ١٩٨٨م أعلن العلماء في مؤتمر عقده برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة أنهم يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو، بما يتراوح بين ٥٥ و ١٣ سم قبل حلول عام ٢٠٢٥، وأن يرتفع بحدود ٢م خلال قرنين من الزمان، ويغمر أغلب المدن الساحلية^(١).

ولم يعد موضوع تلوث البيئة مشكلة إقليمية محسورة في منطقة دون أخرى، وعلى العالم كله السعى لمعالجة الآثار السلبية المترتبة عليها، ويعتبر موضوع تلوث البيئة من قضايا الساعة التي تواجه البشرية جمعاء، وعلى كل البشرية أن تجد وتجتهد حتى تجد خلاصاً من هذه المحنة، ولحل هذه المشكلة يجب اتباع الآتي:

١- يجب الاهتمام بالاستثمارات لحل هذه المشكلة في علاج المخلفات بأنواعها، ودراسة الآثار الاقتصادية لعمليات إعادة الاستخدام لما لذلك من أثر إيجابي من حيث درء مشاكل التلوث من ناحية، وإيجاد عوائد مادية للمشروع من جهة أخرى نتيجة إعادة تصنيع المخلفات.

٢- يجب العمل على القضاء على ظاهرة المقالب المفتوحة (القمامة) لما لها من آثار ضارة سواء على صحة الإنسان أو الحيوان.

(١) أحمد فؤاد باشا، 'البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي'، مجلة الأزهر، الجزء السادس، أكتوبر/ نوفمبر ١٩٩٦، ص ٨٦١.

- ٣- إنشاء هيئات متخصصة للتعامل مع القمامة من الجمع والنقل، أو التخلص، على أن تكون مستغلة، وإنشاء إدارة مركزية تشرف على متابعة هذا الموضوع.
- ٤- التوسع في إنتاج أكياس القمامة، والعمل على تخفيض أثمانها عن طريق استخدام مخلفات البلاستيك.
- ٥- حث الناس على الإقلاع عن التدخين، لما له من آثار ضارة على الصحة والبيئة.

عاشراً: المنهج الإسلامي للإصلاح البيئي

إن المنهج الإسلامي في التعايش السلمي مع البيئة منهج شامل، فهو كل لا يتجزأ ووحدة متماسكة، والإسلام يضع لكل تصرفات الإنسان الضوابط والقيود التي تحم من طغيانه وطموحه، ففي الحديث: «نعم المال الصالح للعبد الصالح» ففي نماء ثروة الأفراد ونقائها نماء لثروة الأمة ونفعاً لأبناء الكون كافة؛ ولهذا فقد حرم الإسلام الإسراف والتبذير وجعل المبذرين إخوان الشياطين، كما نبه الإسلام إلى النظافة وعدم الإفساد بالبيئة، ومن الأدلة القرآنية على عدم إفساد البيئة قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والرسول ﷺ له أحاديث كثيرة ينهى فيها عن الإضرار بالغير وعدم الإفساد بالبيئة؛ لأنها نعمة من الله يجب الحفاظ عليها، وواجب على من يرى ذلك أن يمنع هذا الضرر، فقال ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فقلبه وذلك أضعف الإيمان»^(١)، وقد نهى الله - سبحانه وتعالى - في آيات كثيرة عن الإفساد في الأرض فقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأمراف: ٥٦].

ومن خلال ما تقدم يجب وضع حلول للوقاية من هذه المشكلة، ومن هذه الحلول:

- ١- تنمية الوعي البيئي، وإيجاد حلول للمشكلات البيئية، والحث على عدم إقامة مشكلات بيئية جديدة، وتقدير عظمة الخالق في الكون.
- ٢- وقاية المجتمعات البشرية من التأثيرات الضارة لبعض عوامل البيئة، ووقاية البيئة من النشاط الإنساني الضار، وتحسن نوعية البيئة وتطويرها لصحة الإنسان ورفاهيته.

المبحث الرابع

دعوة الإسلام إلى العمل وتنمية الموارد وعمارة الأرض

إن العمل غاية إنسانية وواجب اجتماعي ووسيلة لتحقيق الرخاء البشري، وتلبية حاجات الناس، وهو في الإسلام من القيم الدينية التي ترقى إلى مستوى العبادة؛ لأنه يحقق الحكمة من خلق الإنسان ووجوده على الأرض.

أولاً: العمل في الفكر التربوي الإسلامي

التربية الإسلامية عملية إعداد للإنسان بتثقيفه ورعايته وإصلاح شأنه، وتعهده - ليكون شخصية إسلامية مهتدية، قادرة على القيام بمسئولية الاستخلاف على الأرض بالالتزام بالمسئوليات والواجبات التي حددها الله - تبارك وتعالى -.

العمل وسيلة لتفتيح شخصية الإنسان وتهذيبها وصياغتها بما يتفق وما جاءت به العقيدة الإسلامية من تشريعات وآداب^(١). وقد حث القرآن الكريم على العمل في قوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

ولما كان الإسلام يريد تحرير الإنسان من الداخل، بمعنى أن يشعر بعزته وكرامته معتمداً على نفسه، كان نظام المكاتبه حيث يكاتب العبد سيده على جعل يؤديه إليه في مدة زمنية، فإذا وفى بعهده يكون قد اكتسب مهارة وقدرة على الاعتماد على النفس، فإذا كان وقت عتقه كان حراً من الداخل^(٢).

ثانياً: أهمية العمل في الإسلام

اهتم الإسلام بالعمل وأعلى من قيمته في المجتمع؛ لما له من دور هام في بناء الأمة الإسلامية، وتحقيق نهضتها بين الأمم والمجتمعات المعاصرة. العمل في الإسلام يقصد

(١) الزبير مهتداد، "العمل في الفكر الإسلامي"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٢٤٢، يوليو ١٩٩٤م، ص ٧٢-٧٣.

(٢) حيدر فته، "معالجة الإسلام للبطالة والفقر"، مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، فبراير ١٩٩٨م، ص ٧٣.

به الكسب فرض عين على المسلم؛ لأن إقامة الفرائض تقتضى حتماً قدرة بدنية ونفسية وهذه لا تتأتى إلا بطعام ونفقة. (١)

هناك أدلة على أهمية العمل فى الإسلام، منها قول الرسول ﷺ: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل» (رواه أحمد من أنس بن مالك). العمل والتنمية وجهان لعملة واحدة، فالعمل طريق للتنمية، والتنمية نتيجة للعمل؛ ولذا... إن إحداث التنمية والتقدم ورفع مستوى معيشة المجتمع ومواجهة القضايا الجوهرية، والاستخدام الأمثل للموارد هى المعايير التى ينطلق منها التاريخ فى إصدار أحكامه الموضوعية والقطعية على مجتمع من المجتمعات، وتقرير ما إذا كان هذا المجتمع على مستوى تحديات عصره ومتغيرات زمانه أم إنه كان مجتمعاً قاعداً قانعاً بدور المشاهد لفصول الحياة، مفضلاً ذلك على أداء دور فاعل يكفل له المنزلة والمكانة على المسرح الدولى (٢).

إن العمل لا يقتصر على المتمتعين بالصحة، وإنما يشارك المعوقون بقدر المستطاع فى العمل؛ وذلك لرفع روحهم المعنوية، وإشعارهم بوجودهم وإفادتهم لأنفسهم ومجتمعهم؛ ولذا حددت الأمم المتحدة فى قرارها خمس أهداف رئيسية: (٣)

- ١- مساعدة المعوقين على التكيف الجسمانى مع المجتمع.
- ٢- تشجيع كل الجهود المبذولة على الصعيدين الوطنى والدولى.
- ٣- تشجيع مشاريع الدراسة والبحث الرامية إلى تيسير مشاركة المعوقين فى الحياة.
- ٤- تثقيف الجمهور وتوعيته بحقوق المعوقين.
- ٥- تشجيع اتخاذ تدابير فعالة للحماية من العجز، وإعادة التأهيل.

(١) السيد أحمد المخزنجي، أهمية العمل فى الإسلام، مجلة الأزهر، العدد الخامس، أكتوبر ١٩٩٦م، ص ٦٧٢.
(٢) عبدالرحمن بن سبت السبت، القوى البشرية والمسئولية الوطنية، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٤٣، ربيع وصيف ١٩٩٤م، ص ١١.
(٣) أحمد خليفة المهدي - محمد توفيق أحمد، المعوقون بين مطرق الحياة وسندان المجتمع، مجلة الضياء، العدد ٤١، فبراير ١٩٩٦م، ص ٤٢.

ثالثاً: الإسلام ومعالجته للبطالة والفقير:

إن مشكلة البطالة والفقير ليست مشكلة حديثة تعاني منها مجتمعات اليوم، بل هي مشكلة قديمة قدم التاريخ، وبرزت مع الإنسان منذ الخليقة، إلا أنها تظهر بوضوح في مجتمعات أو بيئات وتستر في أخرى.

مما لا شك فيه أن الحضارة والتقدم زاد هذه المشكلة^(١) بروزاً ووضوحاً؛ وذلك لأن البطالة -على سبيل المثال- لم تكن ظاهرة في المجتمعات الرعوية ولا في المجتمعات الزراعية فيما بعد، بيد أنها تظهر مع ظهور المجتمعات الصناعية، وازدادت أكثر في المجتمعات المدنية التي نال أفرادها حظاً من التعليم.

ومن المفارقات العجيبة أن يكون التعليم أحد أسباب البطالة؛ ذلك لأن الذي نال حظاً من التعليم يرفض العمل الذي لا يتوافق مع الدرجة العلمية التي وصل إليها، وكلما صعد في مدارج الشهادات المكتسبة قلت فرص العمل أمامه؛ لفارق المستوى بين الواقع والمفترض التخيل، ولكن على الشباب الكفاح والعمل من أجل لقمة العيش بأى عمل مناسب.

الإسلام تصدى لمشكلة البطالة لأنها يتولد عنها الفقر^(٢) ويتولد عن هذا الثنائي المتلازم سلوك معوج يؤدي إلى الجريمة، ومن فضل الله أن الجريمة الناشئة عن ذاك الثنائي -بطالة وفقير- قليلة النسبة في معظم المجتمعات، فالجريمة ليست نتيجة مطلقة تتولد عن البطالة والفقير، وقد حث الإسلام على العمل في قول المولى -عز وجل-: ﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

رابعاً: الإسلام والعمل يحرران الإنسان من الداخل

رسخ الإسلام في نفس المسلم عقيدة أن الرزق من الله، فهو الرزاق ذو القوة المتين،

(١) حيدر فقه، "معالجة الإسلام للبطالة والفقير"، مجلة منار الإسلام، العدد العاشر، فبراير ١٩٩٨م، ص ٧٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٤.

وأن لكل نفس منقوسة رزقها، ولن تموت حتى تستوفي هذا الرزق بكامله، ولا يملك أحد منع الرزق عن صاحبه إن أراد الله ذلك، ولا أن يأتي به أحد إن حجه الله - تعالى، كما أن الخلق كلهم - مهما علا شأنهم - لا يملكون الرزق لأحد، فإن جاء رزق على يد^(١) واحد منهم فهو من الله - سبحانه وتعالى -، وما الناس في ذلك إلا وسائل ووسائط ليس إلا، فالله تعالى يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَرَزَبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢-٢٣].

وقد وردت أحاديث وآيات قرآنية تدل على فضل العمل، وأن العمل وسيلة وسبب في الرزق، وفي هذا يقول المولى - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. ويقول الرسول ﷺ: «يا أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم»^(٢).

ويقول الرسول ﷺ في حديث نبوي: «إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله»^(٣).

خامساً: حث الإسلام على العمل وعدم التواكل

إذا كان الرزق من الله - تعالى - وهو متكفل به، وإن النفس لن تموت حتى تستوفي رزقها، وأن الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه أجله، إلا أن هذا الرزق غيب محجوب عن العبد؛ ولذا لا يعلم العبد ما هو رزقه، فترتب على ذلك السعي من أجل هذا الرزق، فالرزق سيأتي سيأتي ولكن يحتاج إلى وسيلة، ولا بد أن تكون وسيلة شريفة، ومن هنا كره الإسلام الكسل والانتكالية، وحض على العمل والسعي.. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. وهنا

(١) حيدر قفه، 'معالجة الإسلام للبطالة والفقر'، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) رواه ابن ماجه، واللفظ له، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم، الترغيب والترهيب.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه، والطبراني، 'منار الإسلام'، ص ٧٤.

ربط عجيب بين أمور أربعة: تذليل الله للأرض، وجعلها سهلة حض المسلم على الحركة، والدعوة للمشي في مناكبها مقاومة للكسل والخمول، والأكل من رزق الله الذى يتج عن هذه الحركة، ثم التذكير باليوم الآخر لاستقامة الوسيلة.

قال رسول الله ﷺ: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»^(١). وكان من دعائه: «اللهم بارك لأمتي فى بكورها»^(٢)، وكان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: "لا يعقد أحدكم عن طلب الرزق، ويقول: اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة وأن الله -تعالى- يرزق الناس بعضهم من بعض"، وكان يقول أيضاً: "إنى لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فإن قالوا: لا. سقط من عيني".

(١) رواه البخارى فى "الترغيب والتهذيب"، ج٢، ص٥٢١، رقم (١).

(٢) رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وأبو داود وابن حبان، "منار الإسلام"، ص٧٤.

المبحث الخامس استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية

كيف نصل إلى استراتيجية إسلامية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية؟ وما هي وسائل تحقيق هذه الاستراتيجية؟ وكيف يمكن تحقيق أهداف هذه الاستراتيجية؟ تشكل الإجابة عن هذه الأسئلة هدف هذه السطور والتي تتركز حول الوصول إلى استراتيجية لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ضوء الإسلام ومبادئه وأصوله.

أولاً: المبادئ الإسلامية لتحقيق التنمية^(١)

المبدأ الأول: الاستعانة بالمبادئ الإسلامية

الاستعانة بالمبادئ الاقتصادية الإسلامية، فقد ثبت بالدليل القاطع أن الإسلام دين ودنيا وسلوك وعمل وأداء للتواصل والتقدم المنشود، فلا بد من تكثيف الجهود من أجل الكشف عن الأصول والمبادئ الاقتصادية الإسلامية بلغة العصر.

المبدأ الثاني: وعى الفرد بدوره في صنع المستقبل

إن وعى الفرد بدوره في صنع المستقبل، فلا بد من تحقيق الثقة للفرد، وتوفير المناخ الملائم لكي يبذل كل جهد نافع، فالاهتمام بالفرد كشريك أساس في العملية الإنتاجية من أئمن ما يملكه الوطن.

المبدأ الثالث: تطوير وسائل الإنتاج

فالإسلام وضع ضوابط للإنتاج بالمال والملكية، وتوزيع الدخل واستخدام عناصر الإنتاج المتاحة للمجتمع، وترك لنا أن نستخدم عقولنا في تطوير وسائل الإنتاج لنصل إلى الصيغ التي تتفق مع الدين.

المبدأ الرابع: تطوير الفكر الاقتصادي

إننا نحتاج إلى تطوير كامل للفكر الاقتصادي للوصول إلى التنمية^(٢).

(١) حمدي الحلواني، "استراتيجية إسلامية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية"، مجلة الوحي الإسلامي، العدد ٣٤٨، يناير ١٩٩٥م، ص ٥٧.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٧.

ثانياً: حث الإسلام على تنمية الثروة النباتية

لقد أنعم الله على الإنسان بنعم كثيرة منها أن سخر له الأرض ليقوم بزراعتها والاستفادة من خيراتها ومحاصيلها، ومن أهم هذه النعم محاصيل البقوليات، ولهذه الزراعة أهمية كبرى حيث أنها تمثل زاد التربة، ولحم الفقير، وأهمية البقوليات كثيرة منها: أن للبقوليات مكانة هامة في سلم التنوع البيولوجي لما لهذه المجموعة النباتية من مميزات بيئية واقتصادية^(١).

والثروة الخضراء التي أحدثتها العلوم والتكنولوجيا في الزراعة خلال فترة الستينات والسبعينات من هذا القرن، بدأت تواجه خطر الثورة المضادة بدعوة جديدة للعودة إلى الطبيعة وإقامة أنظمة زراعية بيئية تحاكي الطبيعة، وتدعو إلى التعلم من الفلاحين طرق الإنتاج التقليدية^(٢).

النظام البيئي القائم في التربة يعتبر نظاماً أيكولوجياً متوازناً قوامه الأجزاء الثلاثة للتربة: الصلب، والسائل، والغازي، وتكمن الفكرة الأساسية وراء الثورة الزراعية الجديدة بتصميم نظام زراعي بيئي يحاكي هياكل ووظائف أنظمة البيئة المحلية الطبيعية، وعلى الصعيد الاقتصادي والاجتماعي تركز الثورة الجديدة على المزارعين، وبهذا الأسلوب تصبح الزراعة الجديدة متوافقة ثقافياً؛ لأنها تبنى مشروعاتها على أساس الجمع بين المعرفة التقليدية للمزارعين وعناصر العلوم الزراعية^(٣).

ثالثاً: دعوة الإسلام إلى تنمية الثروة المائية والحيوانية

إن نظافة المياه من أهم وسائل الحفاظ على الصحة؛ ولذلك لما كان الماء أصل الحياة في الكون كله حيث يقول الله -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: ٣٠]، فإن المحافظة على نظافته من التلوث والفساد تعد أساس المحافظة على الحياة بأشكالها

(١) عواد جاسم الجندي، "البقوليات زاد التربة ولحم الفقير"، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٦ يونيو ١٩٦٦، ص ٥٨.

(٢) سيف الدين الاناسي، "في بعض الرجوع تقدم بيئي"، مجلة العربي، العدد ٤٤٢، يناير ١٩٩٩، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) المرجع السابق نفسه.

المختلفة، وتحفل الشريعة الإسلامية بنصوص كثيرة تحث على حماية الماء من التلوث، فعن جابر رضى الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «لا يبولن أحدكم فى الماء الراكد، ثم يغتسل فيه»، وقوله ﷺ: «أو كثرو قربكم واذكروا اسم الله وغطوا آنتيكم واذكروا اسم الله»^(١).

والثروة المائية وما تحتويه الأنهار والبحيرات من أسماك مختلفة، لذا يجب علينا تنمية هذه الثروة المائية بشتى الطرق؛ وذلك لأن الماء يعتبر من أساسيات الحياة على الأرض، وكل مخلوق عليها، فمن الإنسان حتى أصغر الكائنات الحية لا تعيش بدون الماء، وفي عالمنا هذا كميات وافرة من المياه تتركز معظمها فى البحار والمحيطات، والماء كمصدر طبيعى متوفر مباشرة للاستهلاك البشرى^(٢)، لذا يجب علينا تنميته والحفاظ عليه.

الثروة الحيوانية عنصر هام من عناصر الإنتاج القومى، فالإسلام بدعوته الصريحة إلى العمل والكسب الحلال يحثنا على بذل قصارى جهدنا للاعتماد على النفس، ومن وسائل هذا الإنتاج الحيوانى تربية الماشية بأنواعها المختلفة، لما تحتوى عليه من بروتينات وفوائد تعطى الإنسان المسلم القوة لكى يعمل ولكى يقوى على عبادة ربه سبحانه وتعالى.

رابعاً: التربية الاقتصادية وترشيد الاستهلاك

يجب تشجيع الفرد على الأخذ بأسلوب وأسباب التنمية فى الدول النامية مثل مصر، كما يجب تفهم عوامل البناء الاقتصادى مثل الادخار والاستهلاك والترشيد فى الاستخدام، والاستثمار الطويل المدى والقصير المدى، والتدريب على الإنتاج وتأصيل روح الخدمة والنظافة، وتشجيع الابتكار والادخار، وفى حديث رسول الله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» رفع الكفاءة مطلوب فى هذه الفترة وذلك بالتربية السليمة منذ الطفولة^(٣).

(١) محمد السيد أرناؤوط، التلوث البيئى وأثره على صحة الإنسان، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الدار اللبنانية، ١٩٩٧م، ٢٣٧.

(٢) عصام الشيخ قاسم، أزمة تلوث المياه فى العالم، مجلة الكويت، العدد ١٤٣، سبتمبر ١٩٩٥، ص ٨٠.

(٣) حسين كنفانى، رؤية عصرية لخريطة مصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ١٨٥.

وبالنسبة للتصنيع فهو عامل هام من عوامل زيادة الاقتصاد والإنتاج، والصناعة وتطوير الزراعة وتنوع الإنتاج تشكل الجوانب الأساسية لكل جهد يرمى إلى تنمية سريعة لقوى الإنتاج، فإن شكل التصنيع ومعدلاته ومداه وطبيعته أمور تتوقف كلها بالنسبة لكل بلد على ظروفها المحددة وطبيعة موارده الزراعية والمعدنية والمالية، وعدد سكانه، وكثافته، ولكن التصنيع يظل دائماً شرطاً ضرورياً للتنمية الاقتصادية^(٢).

إن الكفاية الإنتاجية تستخدم في تنمية الثروة القومية وزيادة الدخل القومي، فإنها أيضاً من العوامل الهامة في تمكين العمال من الحصول على مستوى أعلى في الدخل، ورفع مستوى المعيشة وزيادة قدرتهم على شراء ما يحتاجونه من سلع وخدمات، ومنحهم أكبر قسط من الرعاية الاجتماعية والصحية، وبمعنى آخر تعد الكفاية الإنتاجية دعامة هامة من الدعائم التي تبنى عليها أسباب السعادة لبني البشر وتحقيق الرفاهية.^(٣)

خامساً: استهلاك المياه وآثارها المدمرة ودور الإسلام في الحفاظ على المياه

هناك آثار مدمرة ناشئة عن الإسراف في استهلاك المياه، حيث يؤدي إلى إفساد عذوبتها، ومع استمرار الاستهلاك الزائد للموارد المائية تصبح عرضة للندرة؛ مما يؤدي إلى مشكلات لا حصر لها على المستويين الداخلي والخارجي، ويكفي أن ندرة المياه والصراع عليها كانت السبب في تفجر معظم المشكلات التي ظهرت في التسعينات^(٤)، ويمكن أن يقوم الإعلام بدور فعال في التوعية في استهلاك المياه، والحرص على استغلالها الاستغلال الأمثل الذي يحقق الفائدة دون إسراف، وإعلامنا المصري يقوم بهذا الدور الفعال الذي يثمر نتائج تفيد المجتمع كله من حيث توفر المياه الكافية لإقامة المشروعات الجديدة واستصلاح الأراضي الصحراوية مثل مشروع "توشكى" الذي

(١) شارل بتليم، "التخطيط والتنمية"، ترجمة: إسماعيل صبرى عبد الله، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٦، ص ٢٤٦.

(٢) سعد عبد السلام حبيب، "مجتمعنا الجديد"، القاهرة، مطابع الدار القومية، ١٩٦٣م، ص ١٧٨.

(٣) بركات عبد العزيز، "الإعلام الإسلامى ومشاكل البيئة"، مجلة الوعي الإسلامى، العدد ٣٥٨، فبراير ١٩٩٥م، ص ٦٠.

سوف ينهض بمصر زراعياً واقتصادياً، ويحقق الاكتفاء الذاتي الغذائي... لا بد من توافر الوعي لدى المجتمع من حيث المحافظة على الأراضي الزراعية وعدم البناء عليها؛ لأن ذلك يهدد الثروة الزراعية، ويعتبر هذا إهدار لنعمة كبرى منحها الله - سبحانه وتعالى - للمجتمع.

سادساً: دعوة الإسلام إلى عدم الإسراف في الأكل والمشرب

دعا الإسلام إلى التمتع بنعم الله - سبحانه وتعالى - من مأكلاً ومشرباً، ولكن هذه الدعوة كانت تتصف بالتوسط والاعتدال وعدم الإسراف؛ لذا يقول المولى تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. وفي هذه الآية تناول فضيلة من فضائل الإيمان وهي الاقتصاد في المعيشة بعيداً عن سفة الإسراف وحماسة الشح، وهو خلق نبه عليه الإسلام مما يدل على ما يتسم به من سلوك المسلم الملتزم من حكمة وبصيرة في التعامل مع المال وغيره.^(١)

سابعاً: الإسلام وضرورة تطوير القوى البشرية

يرتبط تقدم الأمم والشعوب ارتباطاً وثيقاً بالمسيرة التطويرية لأبنائها، فتوقف مسيرتها عند مستوى ما يحمله هؤلاء في صدورهم من إيمان، وفي رؤوسهم من علوم، ويرتبط حركتهم إيجاباً وسلباً بما يدخرونه من معارف في عقولهم، ومن ثم يظل الإنسان مهما مدت له الحياة مُطالباً بتطوير علومه وإثراء معارفه؛ ليدفع حركة التقدم ويعزز قدرتها على الاستمرار.

إن أحداث التقدم والتنمية ورفع مستوى معيشة المجتمع، أو مواجهة القضايا الجوهرية والاستخدام الأمثل للموارد هي المعايير التي ينطلق منها التاريخ في إصدار أحكامه الموضوعية والقطعية على مجتمع من المجتمعات، وتقدير ما إذا كان هذا المجتمع على مستوى تحديات عصره ومتغيرات زمانه، أم أنه كان مجتمعاً قاعداً قانعاً بدور المشاهد من فصول الحياة.^(٢)

(١) السيد رزق الطويل، "الوسطية وموقعها في القرآن"، مجلة منبر الإسلام، العدد ٥٠، أكتوبر ١٩٩٦، ص ٢٢.

(٢) عبد الرحمن بن سبيت السبيت، "القوى البشرية والمسئولية الوطنية"، مجلة كلية خالد العسكرية، العدد ٤٣، ربيع وصيف ١٤١٥هـ ص ١١.

إن الحصول على نتيجة أفضل يتطلب بالطبع بالطبع سياسات وبرامج قومية أفضل للتنمية الريفية - في مصر خاصة- مما عليه الآن؛ لأن الهدف من التنمية هو توسع نطاق النظام الريفي بزيادة حجم العناصر القائمة، وتقوية الروابط الراهنة، وإدخال آلات حديثة حتى تصل إلى درجة عالية من التطور والتنمية.

إن الزراعة المعتمدة على الأيدي العاملة^(١) تميل إلى الأسلوب التقليدي، وهي زراعة جامدة وليس ثمة شك في أن تحديث الأساليب الزراعية بالميكنة ضروري.

* * *

(١) لورانس هيوز، "التنمية الريفية"، ترجمة: نور الدين الزراري، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، ١٩٨٢م، ص ٢٣٥.

المبحث السادس

دور المؤسسات التربوية والدينية والإعلامية في تنمية موارد البيئة والحفاظ عليها

أولاً: دور المدرسة في الوعي البيئي

للمدرسة دور فعال في المحافظة على موارد البيئة وتنميتها ' وذلك حينما يشارك التلاميذ في العمل الميداني في البيئة المحلية، ويدركون آثار التفاعل بين الإنسان والبيئة، وكيف استطاع الإنسان أن يبذل جهوداً متواصلة من أجل استغلال موارد البيئة ومن أجل تطوير حياته وحياة الأجيال التالية^(١).

والمدرسة لها دور في إعداد التلميذ ليكون مواطناً مستنيراً ومشاركاً بفاعلية في تنمية وتطوير مجتمعه وبيئته، ومساعدته على إدراك وفهم ما له من حقوق وما عليه من واجبات تجاه مجتمعه، ومساعدته على فهم ما يدور في بيئته من مشكلات.

وللمدرسة دور في تزويد التلاميذ بالقدر الضروري من المعارف والمهارات التي تمكّنهم من أن يكونوا مواطنين منتجين في مجتمعاتهم وبيئتهم، ومشاركين في ميادين التنمية الشاملة المستدامة التي تضع في اعتبارها صيانة البيئة وحمايتها.

كما أن للمدرسة دور في التنمية الريفية وذلك في 'التعليم العام الأساسي، ويشمل محو الأمية والحساب ومبادئ أولية في العلوم عن بيئة الطالب من أهداف المدارس الابتدائية والثانوية.. وأيضاً التعليم المهني وهدفه تنمية بعض أنواع المعرفة والمهارات ذات الصلة بأنشطة اقتصادية مختلفة'^(٢).

كما لا يكفي أن تعمل الدولة على محو الأمية^(٣) من الريف، بل يجب أن يدرك

(١) أحمد حسين اللقاني، فادعه حسن محمد سليمان، 'التدريس الفعال'، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٥م، ص ١١٤.

(٢) فيليب هـ كوميز، منظور أحمد، 'مكافحة الفقر في الريف'، ترجمة: إلياس إسكندر، القاهرة، مؤسسة التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٧م، ص ٣٩.

(٣) نصحى عبد الفتاح، 'القرية المصرية'، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ص ٤٦٣-٤٦٤.

الفلاحون أن محور أميتهم مسألة ضرورية للحفاظ على مصالحهم وحقوقهم، بل إن عليهم ألا ينظروا دائماً إلى ما تقدمه إليهم أجهزة الدولة المختلفة، بل يقومون هم بأنفسهم بمبادرات ذاتية سواء في محور الأمية وإنشاء النوادي.

ثانياً: دور الجامعات في تنمية الوعي البيئي

للجامعة دور فعال وهام في التنمية بشتى أنواعها، وأيضاً في التوعية والمحافظة على البيئة ومواردها؛ ولذلك تتيح الجامعة الفرص أمام طلابها للحصول على قدر كافي من الوعي والمعرفة والثقافة العامة والتدريب على مهن كثيرة في كليات الجامعة، من أجل التنمية، ومن أجل تحقيق الرخاء للوطن، ويمكن تلخيص دور الجامعة في أربعة وظائف هي:

١- الثقافة العامة

عندما نتحدث عن الثقافة العامة نقصد حالة عقلية معينة، إلى جانب كونها حصيلة من المعرفة، فهي ترمي إلى تحرير الفرد المتعلم من الخزعبلات والجهل، وفي نفس الوقت تمنحه الإمكانيات والقيم التي يتفاعل معها في محاولة لأن يبدأ في لعب دوره في مجتمعه.

٢- مدد المجتمع بالأفراد المتخصصين

تمد الجامعة المجتمع بالأفراد المتخصصين في شتى المجالات والناشط لإعداد أفراد قادرين بعد دراستهم الجامعية أن يعاونوا في تسيير دفة الأمور في المجتمع لخدمة أفرادهم، فلن تشق طرق بدون مهندسين، ولا يجد المرضى من يصف لهم الدواء بدون أطباء، بل لن يجدوا مستشفى ما لم تبُن لهم...^(١).

٣- الدراسات العليا والبحوث

الدراسات العليا والبحوث تسعى باستمرار إلى توسيع آفاق المعرفة البشرية، فالإنسان بطبيعته يحب الاستطلاع، ويتميز العالم بروح وثابة للكشف عن الغامض والتعرف على المجهول.

(١) مصطفى رجب، "أهداف التعليم الجامعي"، مجلة الرسمى الإسلامى، العدد ٣٤٤، سبتمبر ١٩٩٤م، ص ٢٨.

٤- الخدمة العامة

أصبحت الجامعة مركزاً للمعلومات، ومدت أذرعها في مراكز بعيدة تعلم كما نتعلم مسهمة في الإثراء العلمى للأفراد والجماعات، صار إذاً تراوح بين الفكر والعمل لتحقيق أهداف المجتمع ككل، وتقدم الجامعات اليوم خدمات عامة على مستويات شتى لترضى رغبات عديدة للمواطنين. (١)

ثالثاً: دور المؤسسات الدينية في التوعية البيئية

المسجد أول مدرسة في الإسلام تبنى الأجيال وتصنع الأبطال، وتعدهم خير إعداد، وعن طريقه يقوم كيان الأمة الروحي، كما أنه الأساس الذى يدعم وجودها المادى، وفى المسجد يتدارس المسلمون كتاب الله ويتلونه، ويؤدون الشعائر الدينية بإقامة الصلاة وذكر الله، وتبصير المترددين على المسجد فى شئون الدين والدنيا، وصبغهم بالصبغة الإسلامية؛ لتكون لهم سلوكاً فى حياتهم، وحتى لا يجرفهم تيار الرذيلة فيقضى عليهم. (٢)

فرسالة المسجد على هذا تعليمية، تخلص الإنسان من عار الجهل، وتخلع عليه لباس الفضيلة من الرذيلة، وهنا ندرك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [المكوت: ٤٥]. إذن فالصلاة والخطب المنبرية تدعو الإنسان إلى الالتزام بالضوابط الدينية التى تنهى عن الفحشاء وعن إيذاء الناس، وعن الإضرار بالبيئة، وتدعو أيضاً إلى النظافة وإلى التنمية بجميع أنواعها، وإلى العمل الذى يحقق الحرية للإنسان، وأيضاً إلى الوعى البيئى الصحيح.

رابعاً: دور الإعلام الإسلامى فى تزويد المجتمع بالمفاهيم والتوعية البيئية

إن الإعلام التابع من الإسلام الملتزم بتعاليمه يطوع التكنولوجيا الحديثة، وكذلك أساليب الأداء فى ضوء تعاليم الإسلام وتصوراته وحدوده فى التخطيط والتنفيذ والمتابعة، سواء أكان ذلك على مستوى النظام الاقتصادى ككل أو على مستوى كل

(١) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٢) جاد الحق على جاد الحق، "المسجد: إنشاء، ورسالة وتاريخاً"، هبة مجلة الأزهر، رمضان ١٤١٦هـ ص ١٢-١٣.

عنصر من عناصر العملية الاقتصادية ..^(١)، ويتميز الدور الديني للإعلام بقوة مصداقيته وسرعة تأثيره وفاعليته؛ لأنه يجمع بين العمل الديني والإعلامي معاً، كما يحشد الجهد إلى التعليم ومحو الأمية..^(٢).

يمكن للإعلام الإسلامي أن يسلط الأضواء على الإمكانيات غير المستغلة ويوجه أنظار أصحاب الرأي إلى مزايا وكيفيات استغلالها الاستغلال الأمثل، وأن يبذل الإعلام في سبيل ذلك جهوداً منظمة لإقناع الناس خاصة الشباب بالانتقال إلى المجتمعات والمدن الجديدة، التي بدأت العديد من الدول الإسلامية في إنشائها بتخفيف الضغوط على المدن الكبيرة الذاخرة بالمشاكل خاصة التلوث بأوسع معانيه.^(٣)

.. كما أن الإعلام الإسلامي باعتباره دين العقل والعلم يجب أن يكون كجسر رابط بين العلماء والمتخصصين وصانعي القرار؛ للاستفادة من القاعدة العلمية المستمدة من البحوث والدراسات البيئية بحيث توضع موضع التنفيذ، ثم تأتى المرحلة الأخيرة من الجهود البحثية متمثلة في توصيل النتائج بما فيها من دلالات للرأي العام..^(٤)، وذلك لأن الإعلام الإسلامي يهتم بالأخبار بشرط الواقعية والصدق فيها، ثم الفائدة العائدة على الناس من وراء نشر هذه الأخبار^(٥).

.. وقد أصبحت مشكلة التلوث الشغل الشاغل لجهات أجهزة علمية كثيرة، وأخذت الاهتمام الكبير في معظم صحف ومجلات العالم، وأقيمت الكثير من المؤتمرات والندوات بهدف توعية الإنسان في كل مكان بأبعاد وحجم مشكلة التلوث، ووضع القيود والقوانين التي تهدف إلى المحافظة على البيئة.^(٦)



(١) بركات عبد العزيز: 'الإعلام الإسلامي ومشاكل البيئة'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٥٨، فبراير ١٩٩٥م، ص ٥٩.

(٢) جلال حمام، 'كيف يكون الإعلام سبيلاً لتحقيق الأمن'، المجلة العربية، العدد ٢٤٧ ديسمبر ١٩٩٧م، ص ٨٤.

(٣) بركات عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٨.

(٥) حسن عى محمد، 'الإعلام الإسلامي'، هدية مجلة الأزهر، شعبان ١٤١٨هـ ص ٢٢.

(٦) إبراهيم سليمان عيسى، 'تلوث البيئة أهم قضايا العصر'، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٤٩ فبراير ١٩٩٥م، ص ٦٣.